

أضواء البيان

@ 430 \$ 1 (سورة عبس) \$ 1 .

7 ! 7 ! { عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَسَى * } . سبب نزول هذه السورة باتفاق المفسرين ، أنه صلى الله عليه وسلم كان مشغولاً بدعوة صناديد قريش ، فأُتاه ابن أم مكتوم ، وهو رجل أعمى وقال : (أقرئني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلامني مما علاّمك الله) وكرر ذلك ، فلم يتفق ذلك وما هو مشغول به صلى الله عليه وسلم ، وما يرجوه مما هو أعظم ، فعبس وتولى عنه منصرفاً ، لما هو مشغول به . .

قال الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في دفع إيهام الاضطراب على قوله تعالى : { أَنْ جَاءَهُ الْأَسَى * } ما نصه : عبّر تعالى عن هذا الصّحابي الجليل الذي هو عبد الله بن أم مكتوم ، بلفظ يكرهه الناس ، مع أنه قال : { وَلَا تَذْأَبْزُواْ بِالْأَسَى * لِقَابِ } .

والجواب : هو ما نبه عليه بعض العلماء : من أن السر في التعبير عنه بلفظ الأعمى ، للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه لو كان يرى ما هو مشغول به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه الله منه بلفظه . .

وقال الفخر الرازي : إنه وإن كان أعمى لا يرى ، فإنه يسمع وبسماعه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقدامه على مقاطعته يكون مرتكباً معصية ، فكيف يعاتب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

فكلامه هذا يشعر بأنه إن كان معذوراً لعدم الرؤية ، فليس معذوراً لإمكان سماعه ، ولكن ذكره بوصفه ليوجب العطف عليه والرفق به . .

والظاهر والله تعالى أعلم : أن كلام الرازي ليس بعيداً عما ذكره الشيخ ، لأن معناه أنه عاتبه لعدم رفقه به . ومراعاة حالة عماه . .

فعليه ، يكون ذكره بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم ، وكأنه يقول لهم : { فَإِنَّ زُفْرَهُ لَآتٍ تَعْمَى الْأَسَى بِمَسَارٍ وَلَآكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ السَّخِيَّةُ فِي الْمَسْذُورِ } ،